

اللغة العربية في إفريقيا..

الواقع والتطلعات

الدكتور أبو بكر عبد الله شعيب(*)

أهمية اللغة العربية :

اللغـــة العربية تُســـمى لغة الضـــاد، ولغة الإعجاز، واللغـــة الفصحى، واللغـــة الخالدة، وهي لغة العـــرب وإليهم نُســـبت؛ لأنها لغتهم التي فتقت عليها أسماعهم، ودارت عليها رحى بيانهم في التعبير عن أغراضهم[1].

تُعد اللغة العربية أقدم اللغات[2] الحية على وجه الأرض، ومع اختلاف الباحثين حول عمر هذه اللغة؛ فإننا لا نجد شـــكاً في أن العربية التي نســـتخدمها اليوم أمضـــت ما يزيد على ألف وســـتمائة سنة، وقد تكفّل الله – سبحانه وتعالـــى- بحفظ هـــذه اللغة حتـــى يرث الله الأرض ومن عليها، لأنهـــا لغة القرآن الكريم، قـــال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْـــنُ نَزَّلْنَا الذِّكْـــرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩]، ومذ عصور الإسلام الأولـــى انتشـــرت العربية في معظـــم أرجاء المعمورة، وبلغت ما بلغه الإســـلام، وارتبطت بحياة المســـلمين، فأصبحت لغة العلم والأدب والسياســـة والحضارة، فضـــلاً عن كونها لغة الدين والعبادة.

لقد اســـتطاعت اللغة العربية أن تســـتوعب الحضـــارات المختلفة المعاصـــرة لها في ذلك الوقت: العربية والفارســـية واليونانية والهندية، وأن تجعل منها حضارة واحدة عالمية، وذلك لأول مرّة في التاريخ، ففي ظل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية، واللغة الأم لبلاد كثيرة.

إن أهميـــة اللغـــة العربية تنبع مـــن نواحٍ عدّة، أهمها ارتباطها الوثيق بالدين الإســـلاميّ والقرآن الكريم؛ فقـــد اصطفى الله هذه اللغة مـــن بين لغات العالم لتكون لغـــة كتابه العظيم ولتنزل بها الرسالة الخاتمة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢].

كما تتجلـــى أهمية العربية في أنها المفتاح إلى الثقافة الإسلامية والعربية؛ ذلك أنها تتيح لمتعلميها الاطلاع على كمّ حضاري وفكري لأمّة تربّعت على عرش الدنيا عـــدّة قرون، وخلّفت إرثاً حضارياً ضخماً في مختلف الفنون وشتى العلوم، وهي تُعـــد من أقوى الروابط والصلات بين المســـلمين؛ ذلك أن اللغة من أهم مقوّمات الوحدة بين المجتمعات.

*) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

1) د. بدر الدين أبو صالح: المدخل إلى اللغة العربية. لبنان، دار الشرق العربي، ط ٢، ص ١٥.

2) اللغة العربية أقدم اللغات. فعمرها يقارب ٨٠٠٠ سنة. وقد وجدت أقدم مخطوطة في العالم في منجم في صحراء سيناء، عمرها يقارب ٤٠٠٠ سنة، وكتبت بالعربية. انظر: http://www.saaid.net/Minute/33.htm



حرصت الأمة منذ القدم على نشر لغتها وتعليمها للراغبين فيها على اختلاف أجناسهم وألوانهم وما زالت، فالعربية لم تعد لغة خاصة بالعرب وحدهم، بل أضحت لغة عالمية يطلبها ملايين المسلمين في العالم اليوم لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية، كما أننا نشهد رغبة في تعلم اللغة من غير المسلمين للتواصل مع أهل اللغة من جانب، وللتواصل مع التراث العربي والإسلامي من جهة أخرى[1].

مكانة اللغة العربية في إفريقيا:

أظهر أحدث تقارير الأمم المتحدة فيما يخص اللغات في العالم أن ٥٠٪ من سكان الأرض يتحدثون ثماني لغات فقط من أصل ستة آلاف لغة تُستخدم اليوم في المعمورة، وأورد هذا التقرير أن اللغة العربية من بين هذه اللغات الثماني، وقد جاءت متفوقة على اللغة الفرنسية واللغة البرتغالية من حيث عدد المتحدثين بها؛ فلا عجب أن صارت اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة في عام ١٩٧٤م[2].

وفي الوطن العربي تُعد اللغة العربية اللغة الأصلية «Primary» لأكثر من ٢٠ قطراً، تبدأ من المغرب وتنتهي بالخليج العربي، كما تُعد اللغة الأولى لأكثر من ١٩٥ مليون نسمة، ويتحدث بها على الأقل ٣٥ مليون نسمة كلغة ثانية[3].

أما إفريقيا فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لتسع أمم (دول) إفريقية، هي: مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان وتشاد وجيبوتي، ويُتحدث بها بصورة واسعة في بعض دول وسط إفريقيا وشرقها، مثل: الصومال وإثيوبيا وإريتريا وجمهورية إفريقيا الوسطى وتنزانيا (زنجبار)، كما تُعد لغة شعائر دينية لأكثر من ٤٣٠ مليون مسلم في قارة إفريقيا، وتُستخدم اللغة الفصحى (من العربية) في الكتب والصحف وبرامج التلفزيون والراديو، وللأغراض الرسمية وفي الأعمال والسياسية، كما أن معظم الأدب يُكتب بها[4].

تحتل اللغة العربية مكانة عالمية في معظم الدول الإفريقية، وذلك من أجل اختيار لغة مشتركة لإفريقيا تدرس في البلدان الإفريقية كافة، لتكون أداة مشتركة بين شعوبها وعنواناً لاستقلالها وعاملاً لتعميق وحدتها وجمع شملها، فلا توجد لغة إفريقية تستطيع القيام بهذه المهمة سوى اللغة العربية.

ويدل على ذلك ببعض الحقائق:

- من الناحية السكانية:

نجد أن نسبة السكان الذين ينطقون باللغة العربية ثلث سكان قارة إفريقيا تقريباً، حيث يبلغ إجمالي عدد سكان القارة بحسب إحصاءات الأمم المتحدة قرابة المليار نسمة قبل نهاية عام ٢٠٠٩م، موزعين في ٥٣ دولة.

كما يُقدر عدد المسلمين في إفريقيا بأكثر من ٥٠ ٪، يعيش أكثر من ٧٦٪ منهم تقريباً في الأقطار الإسلامية، أما الباقي، أي ما نسبته ٢٤٪ من مجموع المسلمين، فيعيشون في أقطار غير إسلامية[5].

- من الناحية الجغرافية:

تشكل الأرض العربية أكثر من ثلث مساحة إفريقيا؛ إذ يبلغ مجموع مساحة الأقطار العربية الإفريقية (٤،٦٨٠،٩٥١) ميلاً مربعاً من مساحة إفريقيا البالغة (١١،٦٩٠،٠٠٠) ميلاً مربعاً.

١) موقع العربية للجميع: http://www. Arabicforall.net
٢) موقع كيكا: http:// www.Kikah .com/Index arabic.asp
٣) موقع العالم العربي: http://arabworld.nitle.org/introduction.php? module. id=1
٤) موقع ويكبيديا: http://en.wiKipedia. org/wiki /Arabic language
٥) موقع زهلول: إفريقيا http://www.zuhlool.org/wiki



- من الناحية السياسية:

يبلغ عدد الدول العربية الإفريقية تسع دول عربية تقريباً، أي سدس عدد الدول الإفريقية البالغ ثلاث وخمسين دولة، ويتمتع معظمها بأهمية سياسية عالمية وإفريقية، ويؤدي ممثلوها دوراً مهماً في المؤتمرات العالمية والإفريقية.

- من الناحية الدينية:

من المعروف أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي الذي تدين به غالبية الشعوب الإفريقية.

- من الناحية التاريخية:

إن أكثر الممالك التي ازدهرت في إفريقيا في السنوات الألف الأخيرة استخدمت اللغة العربية لغة للإدارة والتعليم، كما كان الحال في مملكة مالي ومملكة غانا.

تاريخ اللغة العربية في إفريقيا:

قامت في إفريقيا خلال فترة العصور الوسطى (القرن الثامن الهجري / القرن السادس عشر الميلادي) ممالك إفريقية إسلامية سادت ردحاً من الزمن في شرقي القارة وغربيها، وقد أسهمت هذه الممالك إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى تلك المناطق، كما ساعدت على نشر التراث الإسلامي، هذا بالإضافة إلى الدور الذي قامت به في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

لقد استمر دفع الحضارة الإسلامية في إفريقيا في الانتشار والازدهار، حتى بلغ أقصى مداه وانتشاره في أيام الخلافة الصكتية في القرن التاسع عشر[1].

وقد ارتبط انتشار اللغة العربية بالدعوة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي - كما في غيرها من المناطق -، وسار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية، وقدّر المسلم في بلاد غربي إفريقية اللغة العربية تقديراً يقرب من التقديس؛ لأنها لغة القرآن، بها يؤدي صلاته، وبها يتلو قرآنه، ويقرأ علوم الدين. والدعوة الإسلامية تشجع التعليم وتجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين، كما أن المجتمع المسلم يقدّر العلم ويجعل للعلماء منزلة جدّ عظيمة.

لقرون طويلة والقلم العربي هو القلم المعروف في إفريقيا دون غيره، فقد كانت هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم «المغرب» وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي؛ أي قبل دخول الإسلام في القارة الإفريقية.

اشتهرت عدة طرق للقوافل، كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر؛ متجهة إلى الجنوب لتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسة في غربي إفريقيا، مثل غانا القديمة، وإلى تمكبتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها.

ذكر بعض المؤرخين أن التجارة ظلت لعدة قرون بأيدي الإغريق والرومان قبل دخول العرب والإسلام إلى المغرب، ثم تولاها العرب بعد فتح شمال إفريقيا ودخول الإسلام إليها، فأصبح العرب بعد ذلك يجتازون الصحراء الكبرى ويتوغلون في إفريقيا التماساً للرزق، وكانوا يتاجرون في البضائع التي كان يتاجر فيها من قبلهم التجار الذين كانوا يُحضرون معهم إلى غربي إفريقية تلك البضائع المطلوبة، كالحرير

١) محمد بلو بن فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دار مطابع الشعب - القاهرة - ١٩٦٤م، ص ٥٤ - ٥٦.



والســروج والسيوف والنحاس والملح والأدوات وأنــواع شــتى مــن المنســوجات، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك[١].

إن العلاقات التجاريــة بين العرب وغربي إفريقيا، والتي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشــر الميلادي، كانت هي المقدمات الأولى لانتشار اللغة العربية فــي إفريقيا، ولقد نمت هذه العلاقات بطريقة ســلمية طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن بلغت أوجها بانتشار الإســلام في القارة الإفريقية، فالتجارة بطبيعة الحــال تلزمها لغة التخاطب بين البائع والمشــتري كما تولد الصلة بينهما، وبمــا أن اللغة العربية كانــت أرقى من اللغات المحلية؛ فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار والأهالي من العرب وينشرونها فيما بينهم.

هذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت حجر الأساس للعربية في إفريقيا، وبدأ أولئك التجار يُدخلون كلمــات وتعابير عربية في تلك المناطق، فانتشــرت تلك الكلمــات والتعابير تدريجيــاً حتى توغلت في ربوع إفريقيا واندمج بعضها في اللغــات المحليــة وخصوصاً بعد انتشار الإســلام، ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربيــة كثيرة في بعض اللغــات الإفريقية مثل لغتــي الهوســا والفلاني (الفولــي)، وبخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القــرون الغابرة، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإســلامية التي دخلت مع دخول الإســلام، فنجد في لغة الهوسا مثلاً أن أســماء هذه البضائع عربية، فكلمة السرج والحريــر والزعفران واللجــام والقلم والدواة وأمثالهــا كلها وافدة على لغة الهوســا وتُنطق بتحريف بسيط.

لذلك يمكن القول إن اللغة العربية قد تركت آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة، وظهر هذا الأثر واضحاً في لغة الهوسا وصنغي والفلانــي، ويوجد في هــذه اللغات الكثير من الكلمــات ذات الأصول العربية، بل إن الحروف العربية اســتُخدمت في كتابة لغة الهوسا منذ زمن مبكر، كما استُخدمت في اللغة الفلانية[٢].

لقد ســاعد على انتشــار اللغــة العربية والتمســك بها - فضلاً عن الجانــب الديني المرتبط بها - أن الكثير من الشعوب الإفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادعت الأصول الشــرقية، فقــد ادعى ملوك مالــي والتكرور وصنغــي وبرنو والهوســا والفلانيين وغيرهم؛ أنهم انحدروا أصلاً عن العرب، وأن أســلافهم الأوائل جاؤوا من الشرق.

ومن العوامل التي ســاعدت على انتشــار اللغة العربيــة في إفريقيا الإســلامية هجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وســابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشــار الإســلام، ثــم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الإفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام، مثل قبائل شوا والفلاني والماندنجو.

وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فــأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإســلامية في الشــمال والشمال الشــرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحــل وعــورة الصحــراء دون اجتيازها، ويقتــرن العهد الزاهــر للغة العربيــة والعلوم العربية الإســلامية في غربــي إفريقيا بعهود الإمبراطوريات الإفريقية الإســلامية الكبرى بغانــا ومالي وصنغي ثم برنــو فإمبراطوريات

١) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢ / ص ٢٣٨.

٢) طرخان، إبراهيم علي: مقال الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، ص ٣٦ - العدد الثاني ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.



الهوسا والتكارنة والفلانيين، فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها، واستُخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها، استُخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، واستُخدمت في المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي، ووجدت في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغاً عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لتصدير المكاتبات بها.

يتضح من هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة العالمية في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة السوكونية التي أسسها الشيخ عثمان فودي في أول القرن التاسع عشر، وعاشت حتى مطلع القرن العشرين، فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة والإدارة والقضاء، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من البلاد مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات، بمعنى آخر: كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca)[1]، وكانت كتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة، وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب من موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي[2].

أما في الشرق الإفريقي فيرجع مؤرخو العرب الأوائل، ومنهم المسعودي، سكان القرن الإفريقي عامة إلى «كوش بن حام»، ويقول محمود محمد الحويري: إن سكان كل من بلاد الصومال وإريتريا والحبشة يرجعون إلى أصل حامي قديم دخل شرق إفريقيا من جزيرة العرب.

وهناك إشارات وآراء تذهب إلى أن الحاميين انتشروا في كل من الشمال الإفريقي والشرق الإفريقي.

وقد انقسموا إلى فرعين رئيسيين، هما:

١ - الحاميون الشماليون: (وهؤلاء لن نقف عندهم لبعدهم عن موضوع البحث).

٢ - الحاميون الشرقيون: ويشملون كلا من المصريين القدامى منهم والمحدثين، مع ملاحظة الامتزاج بالدم الأجنبي في الطبقات العليا في حالة المصريين المعاصرين، إلى جانب البجا والنوبيين أو البرابرة والقالا والصوماليين والدناكل ومعظم الأحباش على الرغم من اختلاطهم بالساميين والزنوج[3].

ولعل شدة التشابه العرقي واللغوي بين الشعوب الإفريقية من منطقة القرن الإفريقي الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية، والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش؛ جعلت بعض الباحثين يرجّحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا في موضع واحد ردحاً من الزمن.

وقد استقرت جموع العرب في الساحل، فنشأت مدن تجارية عربية مثل كلوة ومقديشو ومصوع وممبسا وباضع وسواكن ودار السلام، بل إن العلاقة التجارية في هذا الجزء من إفريقيا مع العرب كانت قديمة، حيث كانوا على صلة بالساحل الشرقي منذ أكثر من ألف سنة[4].

١) د. السر سيد أحمد العراقي: انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقية عبر التاريخ. مجلة دراسات إفريقية - مركز الدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية بالسودان. العدد الأول - رجب ١٤٠٥هـ ص ١٠١ - ١٠٣.

٢) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. المؤسسة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٦٣م. الجزء الخامس / ص ٢٩٨.

٣) دائرة المعارف الإسلامية. ج ١٢ / ص ٨٧.

٤) موقع مبارك: http://www.mubarak-inst.org/stud.../



المشكلات التي تواجه اللغة العربية في إفريقيا:

١ – نظرة المجتمع إلى اللغة العربية بوصفها لغة غير منتجة؛ بمعنى أن صاحبها ربما يكون في كثير من الأحيان عاطلاً عن العمل إن لم يجد جمعية أو مؤسسة إسلامية تستوعبه.

٢ – عدم اهتمام الحكومات والمؤسسات التعليمية والتجارية والمنظمات الدولية والمراكز الثقافية باللغة العربية، باستثناء الجانب الديني، وهو ما أدى إلى عدم الاعتزاز بها بوصفها لغة علم وحضارة وثقافة في المحافل الدولية.

٣ – المناهج: معظم المناهج – إن لم نقل كلها – لم تُعدّ للأفارقة لتتناسب وبيئاتهم، فأغلبها معد للناطقين بالعربية ولأعمار متفاوتة، فهي لا تناسب البيئة والأهداف والأعمار وغيرها، أي لا توجد مراعاة لجوانب المنهج الأربعة المتمثلة في: الجانب النفسي، الجانب الثقافي، الجانب التربوي، والجانب اللغوي.

٤ – الافتقار إلى الوسائل التعليمية المناسبة، فمعظم المدارس والمعاهد التي تدرّس العربية تفتقر إلى الوسائل التعليمية الحديثة، مثل مختبرات اللغة وغيرها.

٥ – قلة عدد المتخصصين من الأفارقة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٦ – قلة المعاهد المتخصصة في إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها وتطويرهم، فمع وجود معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ومعهد تدريب معلمي اللغة العربية أثناء الخدمة في مدينة كنو بنيجيريا، ووجود معاهد للغة العربية وأقسام في بعض الكليات، وكليات لتعليم اللغة العربية في مالي وغانا وكينيا؛ مع ذلك فهي لا تفي بالغرض ولا تعوّض النقص.

٧ – ضعف العائد المادي لمعلمي اللغة العربية، وهذا ما جعل المتميزين منهم يبحثون عن عمل إضافي إن لم يتركوا المهنة أصلاً، هذا من جانب، ومن جانب آخر جعل هذا الضعف المادي مهنة تدريس العربية مهنة من لا مهنة له؛ أي يأتي إليها غير المتخصصين.

٨ – قلة أقسام اللغة العربية في كثير من الجامعات الإفريقية، إن لم نقل انعدامها في كثير من الدول.

٩ – معظم المؤسسات التي ترعى تعليم اللغة العربية ونشرها مؤسسات أهلية خارجية، وقلة منها داخلية، ولا يخفى ما تواجهه هذه المؤسسات من صعوبات شتى، بينما تقل هذه الصعوبات بصورة كبيرة لدى المنظمات الإقليمية والدولية.

١٠ – إن اللغة العربية لا تُستعمل لغة للتخاطب والتحدث بها بين المتعلمين أنفسهم فضلاً عن بقية المجتمع، بل ربما يضطر المعلم إلى أن يشرح الكتاب العربي باللهجات المحلية لتلاميذه!

التحديات التي تواجه اللغة العربية في إفريقيا:

أولاً: منافسة اللغات الأوروبية:

وضعت القوى الاستعمارية لغاتها في مكانة سامية، لمعرفتهم بأن اللغة وسيلة لأهداف متعددة، أهمها ربط المستعمرات بالدولة المستعمرة حاضراً ومستقبلاً ربطاً لغوياً، ومن ثم ربطها ثقافياً وفكرياً، وكذلك سياسياً واقتصادياً، وهذا واضح الآن حتى بعد الخروج

research_view.php?id

العسكري وحصول هذه المستعمرات على استقلالها، فقد أصبحت لغة الدولة المستعمرة هي اللغة الرسمية، ولغة التعامل في الدواوين، ولغة التعامل مع العالم الخارجي، كما صارت لغة الثقافة.

وحين نأتي إلى موضوع اللغة في المستعمرات الإفريقية تأتي فرنسا في المقدمة، حيث استماتت وتستميت في سبيل نشر اللغة الفرنسية، فمنذ العام ١٨٣٠م لم تعد اللغة العربية لغة كتابة إلا إضماراً، ولم تعد تصدر بها كتب أو جرائد، بل في العام ١٩٣٨م صدر قرار رسمي بمنع اللغة العربية في القطر الجزائري، نصّ على أن «اللغة العربية تعد لغة أجنبية».

وبعد الاستقلال أسست فرنسا المنظمة الفرانكفونية (الصوت الفرنسي)، والتي هي في الحقيقة ليست منظمة ثقافية فحسب، بل سياسية أيضاً، فهي الكمنولث الفرنسي الذي قام عوضاً عن قوة الإمبراطورية الفرنسية، فالسلاح هنا هو اللغة والثقافة الفرنسية[1].

والأمر ينطبق على اللغة الإنجليزية، حيث صارت لغة التعامل الرسمي ولغة التعليم ولغة الإعلام والصحافة ولغة المثقفين في كثير من الدول الإفريقية، وتنزانيا وكينيا وأوغندا أنموذج لذلك في شرق إفريقيا، ونيجيريا وغانا أنموذج في غرب إفريقيا.

وإذا ضربنا مثلاً بالسياسة الإنجليزية في جنوب السودان، والتي عرفت باسم السياسة الجنوبية، فقد كان رأي رجال بعض الإرساليات التنصيرية أن تكون العربية هي لغة التعليم، لأنه يمكن استخدامها في التعليم دون تجشم مصاعب إيجاد لغة عامة جديدة، ولأن التعليم بالعربية سيضمن إقبال الجنوبيين على مدارسهم، غير أن هذه الاعتبارات المنطقية التي وضعها المبشرون في حسبانهم كانت دون الاعتبارات السياسية التي وضعتها حكومة السودان في خطتها، ومدفوعاً بهذه الاعتبارات الأخيرة يجيء موقف حاكم عام السودان السير «وينجت» ضد رغبة المنصّرين، حيث كتب إلى حاكم مديرية بحر الغزال في أواخر عام ١٩١٠م يطلب منه أن تكون الإنجليزية لا العربية هي لغة التعليم في مدارس الإرساليات في الجنوب.

ثانياً: إثارة نعرة اللغات المحلية:

ومن الوسائل التي استخدمتها فرنسا أيضاً للقضاء على اللغة العربية تشجيع نعرة اللغات المحلية، حتى المندثرة منها، كما هو الحال بالنسبة للأمازيغية في المغرب العربي، حيث أنشأت لها أكاديمية في فرنسا عام ١٩٦٧م، هذا على الرغم من أن اللغة البربرية التي يتكلم بها بعض سكان شمالي إفريقيا، وبخاصة في الجزائر والمغرب، هي في حقيقتها ليست لغة واحدة لكل القبائل البربرية، وإنما هي عدة لهجات يصل عددها إلى ١٢٠٠ لهجة[2].

ثالثاً: تشجيع العامية:

وإذ وجدت القوى الاستعمارية أن العربية كاسحة ولا بد منها؛ شجعت العامية Colloquial وحاربت الفصحى؛ لأن العامية تتعدد لهجاتها فتفرّق أما الفصحى فتوحّد.

ولعل التاريخ يعيد نفسه، فالدعوة إلى العامية بدلاً من الفصحى بدأت في كل من مصر وسوريا وبلاد المغرب على يد كل من: ولكوكس[3]، وعبد العزيز فهمي، وسلامة موسى،

١) أحمد نصيف الجنابي: ملامح من تاريخ اللغة العربية. ١٩٨١م، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام- العراق، ص ٢٦٧.

٢) عثمان سعدي: الأمازيغ البربر عرب عاربة، وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ. مجلة العربي - ع ٤٨٤، مارس ١٩٩٩م.

٣) هو مهندس الري الإنجليزي «وليام ولكوكس» (١٨٥٢م - ١٩٣٢م) مصمم خزان أسوان، كان يعيش في أسوان في البيت الذي تحول فيما بعد إلى متحف أسوان، وكان يدعو إلى الاستغناء عن العربيّة الفصحى، وقام بترجمة الإنجيل إلى





وأنيس فريحة وغيرهـم، وتصدى لهم نفر من ذوي الغيـرة على العربية، وأوردوا الحجج التي تُبطل هذه الدعـوة.

وفي جنـوب السـودان قامت السياسـة البريطانية علـى محورين؛ الأول: محاربة اللغة العربية وتشـجيع اسـتخدام اللغة الإنجليزية بدلاً منها؛ لتستعمل في حالة صعوبة استعمال اللهجات المحلية، والثاني: تشـجيع الموظفين في المديريات الجنوبية (جنوب السودان) على تعلـم اللهجات المحلية، وبذل كل جهد في هذا الشأن بنشر بعض المجموعات اللغوية المحلية لتيسير اللغة.

وكان هناك ضغط على الموظفين والحكام البريطانيين العاملين في جنوب السودان لبذل كل الجهـود لتعلم لغات أهالـي المناطق التي يعملـون بها وعاداتهم، وكان هذا، كما سـبقت الإشـارة، يمثل جانباً من المخطط العام الذي يسـتهدف إحلال لغـات بديلة عـن العربية كالإنجليزية واللغات المحلية[1].

رابعـاً: كتابة اللغـات الإفريقية بالحرف اللاتيني:

وذلـك بعد أن كانت تُكتب بالحرف العربي، كما حصل مع لغة الهوسا والسواحلية وغيرها، ولمنظمة الإسـلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسـكو) مجهودات جيدة في سـبيل كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف العربي[2].

ومن فضل الله تعالى أن اللغة العربية بقيت لغة مهمة في شـتى أنحاء إفريقيا على الرغم مما بذله الاسـتعمار من جهود كثيرة، ومع أن الإرساليات والطوائف التنصيرية قامت بتسهيل نشـر الدين النصراني والثقافة الغربية؛ فإنها أدركت الأثر البارز للغة العربية في نفوس هذه الشعوب الإفريقية[3].

وسائل تطوير اللغة العربية في إفريقيا:

١ - تبنـي الـدول العربية والإسـلامية سياسـة واضحة في تعليم اللغـة العربية ونشرها في إفريقيا.

٢ - إنشاء معاهد لإعداد متخصصين في تعليم اللغة العربيـة للناطقين بغيرها على غرار معهد الخرطوم الدولي للغة العربية.

٣ - الاهتمـام ببناء مناهـج للغة العربية تلائم البيئـة الإفريقيـة، وتراعي جوانب المنهج المختلفة، وهذا يتطلب الاسـتعانة بالمتخصصين في المناهج وطرق التدريس وعلماء اللغة العربية واللسـانيات والتقنيات التعليمية وغيرهم ممن يُحتاج إليهم.

٤ - ابتعاث عدد أكبر من الطلاب لدراسة الماجسـتير والدكتـوراه في تعليـم اللغة العربية للناطقيـن بلغات أخرى، وأيضاً في مناهـج وطرائق تدريس اللغـة العربية في البلـدان العربية، على نفقـة الدول العربية والمنظمات العربية والإسلامية الإقليمية.

٥ - الاهتمام بالوسـائل التعليمية المهمة فـي تدريس اللغات الأجنبيـة، مثل: معامل اللغات، الوسـائل الإيضاحية، الحاسـوب وبرامجه المفيدة في تدريس اللغات.

٦ - إنشـاء مكتبات خاصـة بكتب تعليم اللغة العربية، ومنهجيته ووسائله المعينة.

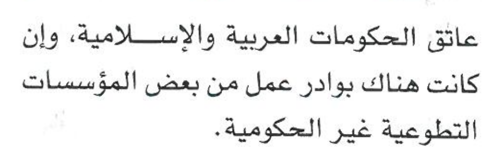
٧ - إنشاء وتأسيس أقسـام للغة العربية فـي الجامعات الإفريقية، وهـذا يقع على

العاميّة المصرية، كما اقترح عبد العزيز فهمي عام ١٩٤٤م بكتابة اللغة العربيّة بحروف لاتينية اقتداء بما فعله أتاتورك في تركيا.

١) موقع مبارك: http://www.mubarakinst.org/stud_reas/research_view.php?id=١٣

٢) (١٩) د. عبد العزيـز بن عثمان التويجري: مستقبل اللغة العربية. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) - ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م. ص ٤٦.

٣) (٢٠) د. محمد عبده يماني: إفريقيا لماذا. دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩١م. ص ٧٤.



عاتق الحكومات العربية والإسلامية، وإن كانت هناك بوادر عمل من بعض المؤسسات التطوعية غير الحكومية.

٨ - إنشاء وتأسيس كراسٍ بحثية للغة العربية في الجامعات الإفريقيةً.

٩ - تشجيع الكتاب العربي بكل الوسائل، وتشجيع تكوين الجمعيات الأهلية لحماية اللغة العربية والدفاع عنها.

١٠ - إيجاد برنامج تدريبي ثابت لمعلمي اللغة العربية، ترعاه وتموله المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو).

١١ - إيجاد الوضع المناسب لمعلم اللغة العربية حتى يؤدي دوره على أكمل وجه.

١٢ - وضع خطة لتعليم اللغة العربية عن طريق المذياع والتلفاز والحاسوب، ودعم أقسام اللغة العربية في الجامعات الموجودة في دول إفريقيا.

١٣ - تدعيم الروابط الأكاديمية بين الجامعات الإفريقية والجامعات العربية، وتقديم المنح للدارسين الراغبين في القيام بأبحاث في اللغة العربية تتطلب وجودهم في الجامعات العربية.

